تفريغ محاضرة: عبقرية العربية

أ. وجدان العلي

عُمير _iomair@

الجراح القويز algarah1996@

قلب يضيء وعقل يبصر

الحمد لله رب العالمين، أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيد المرسلين وإمام النبيين ورحمة الله للعالمين، سيدنا أبي القاسم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وتابع منواله وسلم تسليما كثيرا وبعد.

فقد شرفني إخواننا القائمون على مساق في أن يكون زمام هذه المحاضرة بيدي المرتجفة الضعيفة، والتي أسأل الله عز وجل أن تكون محاضرة نافعة فإن ذلك الأمر أمر عظيم جليل، ويراد مني أن أجمع أسبابه وشواهده وأمثاله حتى تكون دانية للأفهام، ميسورة لإخواننا الذين يسمعون ويتفضلون بسماع هذه المحاضرة. وهذه المحاضرة يراد منها بيان أمر عظيم كبير في دقائق معدودة، وهذا الأمر كبير عظيم جعله رب العالمين سبحانه وبحمده آية مشهودة، فقال سبحانه وبحمده: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآَنَ خَلَقَ الْإِنْسَان عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ فنحن عندما نتدارس البيان ووجوه العبقرية فيه فإننا نمد أيدينا لتصل إلى جذر الإنسان، وإذا علمت هذا الأصل الشريف أن البيان أخص خصائص النفس البشرية، التي تكشف معدنها وتريك حقيقة ما بها بلا حجاب أو كساء فإذا علمت هذا الأصل علمت روعة هذه الآية وجلالها، وعلمت أن محاولات صرف الناس عن البيان وجعله شيئا من أحاديث السمار التي يتفكه بها الناس فإن هذا معناه قتل لمعنى الإنسان فيهم، مما يجعل تفسيرهم للنفوس والدنيا والكون والوجود وحقائق الأشياء والألفاظ تفسيرا شائها مختلا، لن يكون لك سواء في النظر في هذا الكون كله فضلا عن الغور والغوص في غور الإنسان; لن يكون ذلك صحيحا مستويا لك إذا لم يكن البيان شيئا وركنا حقيقيا في حياتك، وهذا إنما يكون بالتضلع منه والنهل منه والنظر في طبقات الكلام والبيان، على ما سيأتي أمثلته إن شاء الله رب العالمين.

فإذا ما اختل هذا الأصل كان تواصل الإنسان مع العالم تواصلا ناقصا، لأن علاقة الإنسان بهذا العالم هي علاقة الإبانة، فإما ان تكون هذه الإبانة إبانة لغوية - كما سيكون في محاضرتنا هذه- وإما أن تكون إبانة حسية في معمار في بناء في شيء ملموس كل هذه طرق من طرق البيان الإنساني، في الإشارة والنظرة والعبارة واللفظة، لا سيما ما يكون متصلا باللغة، التي جعلها رب العالمين سبحانه وتعالى أخص صفة في الإنسان، فإذا ما استقام للإنسان هذا الأصل، استقام تعامله مع الكون كله، فلا تستهن بهذا الأصل

وإذا اختل هذا الأصل عند الإنسان كان تواصله مع العالم تواصلا ناقصا متخلفا عن الأخذ بأسباب الحضارة

وما الحضارة؟ **هي التفاعل الحي التام للإنسان مع الكون وما فيه ومن فيه.** فكل ما ترى من بنيان وإنسان وحيوان وما غاب وما حضر وما سرى في زوايا العقل من أفكار ورؤى وأحلام، كله كلمات في الحقيقة، يفسرها بعض الناس تفسيرا صحيحا ويتعامل معها تعاملا مستقيما لاستقامة البيان وحسن الإصغاء لكلمات الوجود، ويلتوي تفسير بعضهم التواء يهوي بصاحبه إلى درك العجمة وهذا له تفصيل طويل جدا. ومن هنا كانت مدارستنا الليلة هي مدارسة لوجه من وجوه النعمة الإلهية الجليلة في معجزة القرآن، فالاتصال الإنساني بالبيان الإلهي الذي وسع الكون والحياة والمصير وحركة النفس الإنسانية يجعله أكثر استيعابا لحركة الكون، وأكثر فهما لأسراره، وأكثر إبداعا ورقيا وجمالا. ولذلك كنت أقول دائما: **من أحسن التدبر أحسن التدبير**، ولذلك ارتفع السلف لارتفاع مساحة البيان عندهم (الأبلغ: لارتفاع كعبهم في البيان). فإنهم كانوا واصلين إلى البيان وكانوا في الذروة العليا من الاهتداء إلى وجوه العبقرية اللغوية، فكانوا أهل بيان، وكانوا ذوي نفوس مرهفة رقيقة تسمع الكلمة وأصدائها وتعرف معانيها، تهتدي إلى تفاصيلها وينظر الرجل إلى الرجل فيرى في صفحة وجهه ما يكون في قلبه، فإن هذا كله أيضا موصول بما يسميه العلماء قديما الفِرَاسة، الفراسة هي الاهتداء إلى الخفايا والغوامض ولا يكون ذلك إلى لمن شفَّت روحه وصفت نفسه فتم له بيانه، فيكون اهتدائه إلى الشيء الذي أمامه اهتداء سويا صحيحا، خاليا من شوب الزيف والعجمة، **فالعجمة هي الحائل التي تكون بين الإنسان والإبانة أو الاستبانة، فالإبانة فعل الإنسان، والاستبانة الاهتداء إلى مكامن البيان في نِتاج الإنسان البياني**، فالإبانة كأن تقول قصيدة أو أن تصنف قطعة مدبجة، أما الاستبانة فهي أن تدخل في أسرار هذه الكلمات والحروف وأن تلحظ العلائق التي تكون بين الألفاظ وما به امتازت هذه الكلمة عن الأخرى، وما به كان هذا الإنسان عبقريا يهتدي إلى المعنى، فيلبسه ما يليق به من ألفاظ ويكسوه كسوة رائقة رائعة من حيث وزنها وموسيقاها فهذا يكون إنسانا سابقا، وهو ما نسميه العبقرية، ذلك العبقري الذي يكون أسبق من غيره في الاهتداء إلى المعنى الذي يريد والإبانة عنه البيان الذي يكون بيانا هو ما يجده الإنسان في نفسه، ولذلك كان العلماء قديما يتكلمون عن

سبق المتنبي -رحمة الله عليه- لماذا يكون سابقا؟ أعجبتني كلمة لبعض النقاد القدماء، يقول: "لأنه يتكلم عن خواطر الناس" ما يخطر في قلبك وما يتهادى في نفسك من معاني لا تستطيع الإبانة عنها تجد أبا الطيب قد سبقك إليها وقد دلك عليها، وقد أهداك إياها في لفظ وفي بيت يسير مع الناس، وهذا سر خلود شعره أنه ألصق شيء بنفس الإنسان، انزع عن أبيات المتنبي تلك الحوادث والمدائح وما يكون مع تعاملاته مع الأمراء ومع أبناء عصره وانظر إلى بيان تلك النفس، وإلى لصوق هذا البيان بالإنسان من حيث هو إنسان، فإن هذا أحد دلائل العبقرية والعظمة في الإنسان، أن يقول المعنى الذي يختص به; فيبقى هذا المعنى من بعده حيا يتهاداه الناس فيما بينهم، لماذا؟ لأن كل واحد منهم واجد أن هذا المعنى مبين عما يريد، هذه عبقرية عظيمة، وقد كان للعرب من ذلك ما ليس لأمة من الأمم، وانظر إلى الفصل النفيس الذي كتبه العلامة البشير الإبراهيمي -رحمة الله عليه- في مجموع الأعمال -أذكر أنه في المجلد الثاني- في رسالة الضب، وأنا أحب أن نتأمل هذا البيان الذي سطره ذلك العلامة المبارك، وهو بيان خفي على كثير من الناس، لكنه يبين لك سرا عظيما وجانبا كبيرا من جوانب العبقرية عند أسلافنا من العرب، وكيف أن الله تعالى مازهم عن سائر الأمم ببيان خلص لهم وخلصت نفوسهم به، فكان تواصلهم مع نفوسهم ومع ما حولهم من كون ومن سماء وأرض وصحراء وحيوانات ونجوم وكواكب; كان تواصلا فريدا فذا لم تشهد البشرية له مثيلا لأنهم كانوا أهل بيان، كان بيانهم ينبض بخفقات شعورهم وأغمض ما في النفس الإنسانية من أسرار، فلذلك كان العلامة البشير الابراهيمي يلفت النظر إلى هذا السر المودع في أعصاب هؤلاء العرب، وكيف أن الله -عز وجل- مازهم ميزة البيان الذي هو -كما قلت لكم- متعلق بجذر الإنسان، كانت الصحراء يمكن أن نسميها -يا إخواننا- معبد نفوسهم الشاعرة، وأرواحهم النافذة في حجب الكون، وآياته المنتصبة في الفلوات، فكان لهم مع الصحراء شأن ساحر، يقول العلامة البشير الإبراهيمي -رحمة الله عليه- في بيانه عن عبقرية العرب في ذلك: فإن هذه الصحراء التي هي آية من آيات الله في أرضه، أو هي باب الفلسفة من هذا الكتاب الأرضي، لم يعمرها الله بأمة تشرّبت معانيها، وتغلغلت في دقائقها، ولاءمت روحُها روحَها مثل الأمة العربية، وسل التاريخ ينبئك، فهو لم يعرف أمة خلعت عليها الصحراء فطرتها وأفرغت عليها إفراغًا سابغًا غير الأمة العربية.

ومن ههنا جاشت نفوس العرب وتفتقت قرائحهم عن روائع الفلسفة الوصفية للصحراء وأرضها وسمائها وليلها ونهارها وأغوارها وأنجادها وبراريها القاحلة وشجراتها ومعايشها وقيظها وصِرّها وحيوانها ونباتها، وليس لأمة من الأمم ما للعرب في وصف النجوم حتى قربتها تشبيهاتهم إلى الإدراك البشري، [كأنك تلمس النجم، وتضع أناملك عليه، وتداعب أضواءه في ظلمات الليل -سبحان الله- كان هكذا أسلافنا من العرب الأماجد، وهم أهل صحراء، يظن الناس فيهم أنهم قد خلوا من معنى الإنسان! بل كانوا قد صُفِّيت نفوسهم، وامتلأت نفوسهم بمعنى الإنسان، حتى إذا ما جاءهم الوحي سبقوا سبقا بعيدا، فجددوا معنى الإنسان في الكون كله، وكانوا هكذا أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-]

واعتبر ما قالوه في سهيل والجوزاء والسِمَاكِين الأعزل والرامح والثريا والخضيب والدَبَران والنسرين الواقع والطائر [كل هذه أسماء نجوم] على كثرة النجوم وكثرة ما قالوه فيها، وإذا كانت النجوم لا تحصى عدًا، فقل ذلك فيما قالته العرب فيها. ومن بدائع تشبيهاتهم في النجوم أخذ المعري تلك المنازع الغريبة، وتلك النظرات الفلسفية البعيدة الغور المنبثة في لزومياته وهي باب على حدة من فلسفته الكونية، وما نبع ذلك الزلال ونبغ ذلك السحر الحلال; إلا مما تركه العرب من تشبيهاتهم لها وتخيلاتهم فيها، وانظر أوصافهم البديعة لظلمة الليل وروعته وأثرها في نفوسهم وقارن ذلك بوصفهم للنجوم ينكشف لك بعض السر من تلك النفوس وارتباطها بكونها وامتزاجها به، ولا أُبْعِد إذا قلت إنه ليس للأمم مجتمعة ما للعرب في هذا الباب.

[هذا رجل لا يقول هذا الكلام -يا إخواننا- وهو متكئ على أريكته يزجي الكلام فارغا من لسانه، وإنما رجل من أهل التحقيق والتدقيق، ومن أهل التبحر والاستقراء، فلا يقول الكلام هكذا عاريا من العلم، أو يقوله متكثرا وإنما يقوله وله قدم راسخة في العلم]

وليس لأمة من الأمم ما لهم في وصف الحيوانات الضارية، وإن أمم الحضارة على وفرة أدواتها لم تدرس الضواري إلا بعد أن دجّنتها [لم يدرسوا الآساد في آجامها، وإنما أخذوها وروضوها] وفاتهم أن التدجين يذهب بكثير من الخصائص الطبيعية لها، فيفوت بذلك على الدارس كثير

من النتائج، [وانظر إلى تلك اللفتة التي تنفس بها هنا] واعتبر بذلك بِتدجيننا ونحن بشر كيف اغتال خصائصنا ومقوّماتنا، ومسخ معنوياتنا حتى أصبحنا أحط من بعض أنواع الحيوان، وأما العرب فخالطوا الضواري في أغيالها واقتحموا مآسد خَفَّان والثَّرِية وتَرْج [هذه مواضع فيها آساد كثيرة] وغيرها وذللت أرضها أقدامهم، ومنهم من عايش الضواري حتى ألفها وألفته وجمع بينهما عالم كعالم المثال عند الصوفية، فلطفت في السبع سَوْرة السَبُعِية وشِرَّتها وامتدت في العربي الميزة الحيوانية، وتقاربت الغرائز في الجو الحيواني الوسط فصدق الوصف وحق التصوير. ولو لم يكن العربي أميًا وكان ممن يدرس الأشياء على المناهج العلمية، لأتى العالم بالمعجزات. وليس لأمة من الأمم ما للعرب في وصف الحشرات والزواحف والإلمام بطبائعها ووجوه تصرفاتها وسعيها في معاشها وتناسلها ودراسة ما بينها من امتزاج وتنافر، وصف عن عيان ودراسة في الجو الطبيعي، وإن أردت أن تفهم بعض السر في خصيصة العرب في الوصف فاعلم أن الصحراء لبستهم ولبسوها [وهذا الكلام كلام شريف ولذلك أحببت أن أجعله في أنف المحاضرة، وأنف كل شيء مقدمته، وأنا أريد منكم أن تسمعوا هذا الكلام بأرواحكم وأن تزيلوا كثيرا من الغبار الذي لحق بنفوسنا في النظر إلى العرب وفي النظر في خصائص العرب، لتعلموا بعض السر الذي جعله رب العالمين فيهم والله أعلم حيث يجعل رسالته. نرجع إلى كلام العلامة البشير الإبراهيمي نصغي إليه بأرواحنا حتى نهتدي إلى هذا الأمر العظيم وذلك الأصل الشريف وهو باب العبقرية اللغوية] حتى أصبحت حياتهم جزءا منها فأورثتهم ملكة التأمل، ولو سميناها ملكة الحواس لكان هذا هو الصحيح ومنها جاءتهم دقة الحس ولطافة الشعور وصدق التصوير ولا نفترض على التاريخ أن يأتينا بأمة أمية من أممه يطاول بها امة العرب في هذا الباب بل نتنازل وندعوه لأن يأتينا بأمة من أمم الحضارة تستطيع أن تقف بجانب العرب في هذا الميدان. انتهى كلامه. ويقصد أن العرب عندما عاشوا في المفاوز وخلوات البيداء وسامروا الصحراء وجلسوا فيها رقت طباعهم وصفت أذهانهم وانتبهوا إلى أغمض أسرار هذا الكون مما لا يهتدي به ابن الحاضرة، فأما البيان وأما الشعر وأما الحرف يتهادى من فم أحدهم، يدع المعنى ماثلا يتوهج بالحياة، مضيئا ينبض بالنور، كاملا كأنما صب فيه صاحبه روحه كلها وما فيها من عبقرية الوصف وجمال البيان ونفاذ الشعور

فهذا يكاد يكون خالصا لهم من بين الأمم سبقا وإمامة وبراعة لا ينتهي جمالها، وعبقرية يبلس أمامها كل ذي بيان، هؤلاء كانوا العرب.

-إخواننا الكرام- على وجازة ما أبنته لكم، ولم أشأ أن أبسط التعليق على كلمة العلامة البشير الإبراهيمي، هؤلاء هم الذين بعث فيهم الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- فإنك وإن أدركت ذلك -وأنت مدركه إن شاء الله ولو بعض الإدراك- فإنك ستدنو من ذلك السر الإلهي، الذي يدنيك من ظلال هذه الآية الشريفة: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَان عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ثم يدنيك من سر اصطفاء الله -عز وجل- النبي -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- ثم يدنيك من سر بعثه الرسول بتلك المعجزة التي أصل إعجازها ولها وجوه من الإعجاز كثيرة لكن أحد أبرز أركان إعجازها: هو الإعجاز البياني. وأنا تنفست قليلا ههنا عن البيان عن ذلك لأن هذا يريك كيف أن العرب لهم هذا النفاذ الشريف وهذا السبق العظيم وهذا البيان الذي ليس لأمة من الأمم نعم كل الناس تتكلم عن الحب ولكن العربي إذا تكلم عن الحب تكلم كلاما آخر نعم إن كل الناس تتهادى في نفوسهم أمشاج المشاعر من حزن وفرح واطرار واضراب وما يعتمل في نفس الإنسان وما تموج به روحه، لكن إذا نظرت إلى بيان العرب، وإذا تطلعت إلى نفوسهم، تجد أن لهم عبقرية عظيمة سبقت بهم سبقا بعيدا، وهذا الذي أقام عليه، هذا الأصل العظيم الشريف هو الذي أقام عليه الإمام شيخ البلاغة في تاريخ العرب وهو عبدالقاهر الجرجاني –رحمة الله عليه- في كتابيه الجليلين النفيسين الشريفين: أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، فإنه أعاد وأبدى في البيان هذه المعاني وكيف أن الإنسان إنما يسبق غيره وسبق العرب في عبقريتهم بذلك، ليس لأنهم يعرفون أن ثم للتراخي وأن الواو لمطلق الجمع... لا لا، ليست القضية في ذلك وإنما في الاهتداء إلى مواطن ذلك في الاستخدام، فلا ينفعك شيئا إذا علمت أن ثم للتراخي وأن الواو لمطلق الجمع ثم لا تهتدي بذلك في بيانك ولا يظهر أثر ذلك وأصدائه في كلامك، فهذا لن يكون لديك تلك العبقرية كما كانت عندهم. وأنا أريد أن ندني ذلك ببعض الأمثلة حتى لا تبج النفوس ذلك السمع، ملتقطا من كلام أئمة البيان، وهو كلام كثير ولكن المحاضرة موجزة وهي كالدلالة -خواني الكرام وأخواتي الكريمات- هي كالدلالة على ما ورائها فإن هذا العلم يقضي الإنسان فيه حياته، ويفني أنفاسه وقد حصل منه شيئا يسيرا فإن هذا -كما قلت لكم- متعلق بآية من آيات الله -عز وجل- وآية رب العالمين

سبحانه وتعالى لا تفنى غرائبها ولا تنتهي عجائبها فإنها موصولة بالله رب العالمين. في أسرار البلاغة يتكلم شيخ البلاغة -رحمة الله عليه-عن بعض أنواع الاستعارات وهذه الأشياء، وسآتي لكم ببعض الأمثلة غير التي ذكرها -رحمة الله عليه-فيقول: -ومن بديع الاستعارة ونادرها -إلا أن جهة الغرابة فيه غير جهتها في هذا، قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فرسا له وأنه مؤدب [هذا الفرس مطيع لسيده]، وأنه إذا نزل عنه وألقى عِنانه في قَرْبوس سرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه [لا يحتاج أن يقيده ولا أن يعقله] فيقول [في عبقرية لغوية]:

عـودته فيما أزور حبائـبي   إهمـــالـه وكـذاك كُـلَ مخاطـر

وإذا احتبى قَربُوسَه بعِنانه   علك الشكيم إلى انصراف الزائر

أنا أريد أن أدني البيت وأهتدي إلى بعض الأشياء قبل أن أكمل كلام عبدالقاهر. "عودته فيما أزور حبائبي إهماله" الإهمال ههنا لا يقصد منه هذه التفاسير مني لكي أدنيكم من وجوه العبقرية في البيان، يقول: "عودته فيما أزور حبائبي إهماله" سمى تركه له غير مبال او مهتم أنه لا يريد سياسة له ولا يحوجه هذا الفرس لتمام أدبه إلى أن يعقله ولا أن يقيده ولا أن يربطه أبدا، فجعل كل هذا، جعل ترك الاهتمام به إهمالا، لتمام ثقته به، انظروا إلى هذه العبقرية، جعل تمام ثقته به وتركه أن يقيده إهمالا له فجعل فعله معه فعل المهمل له، انظروا إلى هذا البيان، لا يقول كلاما غسيلا من المعنى ولا يلقي كلمة غفلا عن تلك المعاني التي كلما نظر فيها الإنسان أدار حدقة بصيرته، وجد المعاني تسبق إليه وتتناثر بين يديه، هؤلاء أهل بيان! وقبل أن تهتدي إلى طرق البيان أن تعلم شيئا، كنت أقول لإخواننا في باب التدبر وفي باب متابعة سيدنا رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- أن الإنسان منا لا ينبغي أن يهمل الشيء الذي اصطفاه النبي -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- لنفسه، أو لخاصته من أهله أو صحابته، فإذا ما جاءه الصديق -رضي الله عنه- في الحديث الصحيح فقال له: (علمني دعاء أدعو به في الصلاة...) فلا بد أن يعقد الإنسان قلبه لا أقول خنصره على هذا الدعاء تدبرا ودرسا وتفتيشا وبحثا في معانيه، ودراسة في لقواعده لا أن يأخذ الإنسان الكلام هكذا يديره في حنكه ولا يدري قلبه عنه شيئا، ليس هذا هو القصد، فكذلك أئمة البيان، إذا اصطفوا أمثلة ينبغي أن يصغي قلبك لهذه الأمثلة وأن يفتش في غورها، وأن ينظر في سرائرها، حتى يهتدي إلى

تلك المعاني المستكنة ويطالع كلام الأئمة فإنهم يَدُلون بالإيجاز واللمحة الخاطفة إلى معاني كثيرة، لأنهم كانوا لا يثرثرون، وإنما يقصدون إلى المعنى قصدا سويا في صراط لاحب، ويهتدون إلى اللفظ فينبذون اللفظ المبين عن هذا المعنى بلا تكثر، وأنت شأنك أن تتدبر وأن تخلي هذه الألفاظ وأن تفتش في معانيها. فالذي أردته من هذا التنبيه أن تنتبهوا إلى تلك الأبيات والقصائد المختارة المصطفاة من أئمة البيان واللغة والبلاغة لأنهم كانوا يعلمون ماذا يصطفون، كالإنسان الماهر الخِرِّيت الذي يدلك على الطريق من أيسر سبيل، بينما الذي يخبط خبط عشواء لا يدري الطريق ولا يعرف السبيل فهذا يطيل عليك الطريق ولا يدلك على شيء ويأتي لك بشيء يكون غيره خيرا منه. نعود إلى البيت. "عودته فيما أزور حبائبي" وكلمة عودته ههنا أيضا من وجوه العبقرية، لماذا؟ لأن هذا يدل على أن هذه صفة راسخة فيه وليست شيئا عارضا يعرض لهذا الفرس، هذا هو البيان، هذا هو شرف البيان -يا إخواننا الكرام- انظروا عندما نتأمل يزيد معنى الإنسان فينا، وترق النفس، ويتوهج الفؤاد بأضواء العلم، لماذا؟ البيان والنظر فيه أخص صفات الإنسان، ولذلك عندما يكون الإنسان كثير النهل من بيان رب العالمين الذي هو فَارَق كلام المخلوقين أن هذا الإنسان يكون سابقا سبقا علويا في صفاته وأخلاقه وشياته وفي سريرته وسره وخاصة نفسه ويكون ممتازا عن غيره بتلك الخصال، ولذلك كان اهتداء أمنا رضي الله عنها عندما سئلت عن النبي -صلى الله علبه وعلى آله وصحبه وسلم- إلى ذلك السر فقالت: كان خلقه القرآن، وهذا فيه ما فيه من الأسرار والبيان.

"عودته فيما أزور حبائبي" والإنسان عندما يكون عند من يحب فإنه يريد أن يكون متأنقا وأن يكون على خير شيء، فهو يصحب معه من يعلم أنه يكون طوع أمره.

عودته فيما أزور حبائبي   إهمــاله وكــذاك كُــلَ مخــاطــر

[حتى في مواطن الخطر]

وإذا احتبى قَربُوسَه بعِنانه   علك الشكيم إلى انصراف الزائر

جعل هيئة العنان في موقعه من قربوس السرج كالهيئة في موضع الثوب من ركبة المحتبي كما يقول عبدالقاهر. " علك الشكيم" الشكيم: تلك الحديدة المعترضة في فم الدابة " إلى انصراف الزائر" كأنه يأكل هذه الحديدة إشارة

إلى تبتله وإطراقته وسكونه وعدم اضرابه وحركته فذلك فيه دلالة عظيمة على إطاعته أمر سيده. هل تجدون أن هذه العبقرية يدنو منها الإنسان أن يقول المعنى ساذجا فيقول فرسي يطيعني؟ شتان!

يقول مثلا الإمام في البيت الشهير:

ولما قضينا من منى كل حاجةٍ ومسَّح بالأركان من هو ماسحُ
وشُدَّتْ على حُدْب المهارى رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطيّ الأباطح

فيقول: لم يغرّب لأنه جعل المطي في سرعة سيرها وسهولتها كالماء يجري في الأباطح فإن هذا شبه معروف ظاهر، لو أنك شبهت مطية في أنها كالماء يجري فهذا أمر مطروق ليس فيه براعة، لكن الدقة واللطف في خصوصية أفادها بأن جعل سال فعلا للأباطح، من الذي سال أصلا؟ المفروض أن الإبل هي التي سالت، لكن جعل الأباطح وهذا دليل على سرعتها وانسيابها وخفتها فجعل الأباطح هي التي تسيل، فيقول: بأن جعل سال فعل للأباطح ثم عداه بالباء وسالت بأعناق المطي كأن الأباطح أخذت بأزِمَّة الأعناق فسالت بها ثم بأن أدخل الأعناق في البيت فقال بأعناق المطي ولم يقل بالمطي ولو قال سالت المطي في الأباطح لم يكن شيئا وكذلك الغرابة في البيت الآخر ليس في مطلق معنى سال، ولكن في تعديته بعلى والباء وبأن جعله فعلا لقوله شعاب الحي –هذا بيت تقدم معه- يقول مثلا أحد الناس: هذا الشاعر أراد الإبانة عن شوقه لحبيبه وتلهفه إلى تلك المحبوبة ووصف حاله البئيسة فماذا قال؟

اليومُ يومان مُذ غيِّبتَ عن بصري نفسي فداؤك ما ذنبي فأعتذر

أمسي وأصبح لا ألقاكَ واحَزَناً لقد تأنق في مكرُوهِيَ القدر

يا سلام على البيان "لقد تأنق في مكرُوهِيَ القدر" لو أن إنسانا قال لك لقد بالغ إنسان في إحسانه في فعل ما أكْرَه وهذا يذكرني بالمناظرة التي كانت بين الإمام العربي الشريف سيد المسلمين في زمانه: أبي عبدالله بن إدريس الشافعي رضي الله عنه مع شيخه شيخ الإسلام الذي ملئ علما وفقها محمد بن الحسن الشيباني رضي الله عنه وعن الجميع، لما قال له في كلامه عن الماء: إنكم لتقولون في الماء قولا لو قيل لعاقل تخاطأ فقال بقولكم في الماء لكان قد أحسن التخاطؤ، يا سلام، أراد أن يقول له: لقد قلتم في الماء شيئا إذا

لقد قلتم فيه قولا بالغا في السوء مغرق في خطأه، فكيف أبان الإمام في لفظ بين رائع شريف؟ قال: لقد قلتم في الماء قولا لو قيل لعاقل اجتهد أن تصيب الخطأ وأن تبلغ فيه السبق فقال بقولكم لكان قد أتى بالمراد. فانظروا إلى قمة الذم لهذا الكلام، وذا يذكرني أيضا بالحديث الذي في صحيح البخاري عندما تكلموا عن إصابة وحشي رضي الله عنه لسيدنا أسد الله حمزة رضي الله عنه سيد الشهداء، فقال الراوي: "فأصابه فكأنما اخطأه" انظروا إلى هذه العبقرية اللغوية وهذا البيان الشريف**!** أراد أن يصور الإصابة البالغة، فمثلا لو أن إنسانا يمشي بسيارته فقصد إلى البحر أو إلى جدار غليظ سميك ثم أسرع جَهْده فدخل في هذا الجدار لقيل لو أنه كان يمشي خطأ كأنه دخل هذا الجدار بالخطأ "فأصابه فكأنما أخطأه" أخطأه ههنا ليس معناها أنه لم يستطع أن يصيبه بل دخل دخولا بالغا وأصابه إصابة بليغة فانظروا إلى هذا البيان الشريف. أردت أن أجري بكم في هذا الباب جريا سريعا وإلا فالموضوع يحتاج محاضرات نأسس فيها ونقعد ثم نأتي بالأمثلة، لكن لعل في هذا إن شاء الله غنية لمن استطاع أن يكمل السير. لماذا امرؤ القيس مثلا إذا تكلم عن وصف المرأة وبأنها منعمة مرفهة وأنها في حياطة أهلها وإلى اخره لماذا سبق امرؤ القيس؟ وقد كان في زمانه شعراء ومن بعده ومن بعده لماذا كان امرؤ القيس إمام المتقدمين في الشعر؟ لو أنك نظرت مثلا إلى بيته في لآميته المُنيفة:

وبَيْضَـةِ خِدْرٍ لاَ يُرَامُ خِبَاؤُهَـا   تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَـلِ

"بيضة خدر" هذه أطلقها امرؤ القيس فسبق بها سبقا بعيدا، وتكلم في هذه الإضافة بكلام يملأ سطورا كثيرة في بيان شيء أقوله لكم، وقد انتبه لذلك الرافعي -رحمة الله عليه- في مقالة له في وحي القلم -وقد أعجبني كلامه- فيقول: يكنون عن البيت الذي يتلاقى فيه الحبيبان بالعش وما يتخذ العش إلا للبيضة، وإنما عنى الشاعر العظيم أن حبيبته في نعومتها وترفها ولين ما حولها، ثم في مسها وحرارة الشباب فيها، ثم في رقتها وصفاء لونها وبريقها ثم في قيام أهلها وذويها عليها ولزومهم إياها، ثم في حذرهم وسهرهم ثم في انصرافهم بجملة الحياة إلى شأنها وبجملة القوة إلى حياطتها والمحاماة عنها; هي في كل ذلك منهم ومن نفسها كبيضة الجارح في عشه إلا أنها بيضة خدر. (انتهى كلامه) ولذلك قال بعد هذا البيت:

تَجَاوَزْتُ أحْـرَاسًا إِلَيْـهَا وَمَعْشَراً   عَلَّي حِـرَاصا لَـوْ يُـسِـرُّوْنَ مَـقْـتَـلِي

حتى هنا لو تكلمت عن هذا البيت الذي أهمله أبو السامي "عَلَّي حِرَاصاً" تقديم الجار والمجرور على النعت فيه دلالة أنهم يقصدون إليه قصدا قويا فهذا فيه بيان شريف من امرؤ القيس.

ولو نظرت إلى بيته الشهير، ويعجبني فيه تفسير أبي فهر محمود شاكر -رحمة الله عليه- الذي هو بيته الذي ذاع وشاع في الناس:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُوْلَهُ   عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُوْمِ لِيَبْتَلي

وامرؤ القيس والنابغة من أجل من وصف الليل "وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ" موج ههنا حملها أبو فهر -رحمة الله عليه- على معنى آخر، فليس هنا أنه يُشَبِّه الليل بالموج، وإنما جعل موج ههنا باعتباره مصدر، فهو أراد أن يقول وليل يموج علي بأنواع الهموم موجا ويتضطرب علي كموج البحر، أي يموج موج البحر، أنا سآتي إليكم بكلامه الشريف: وهذا البيت أيضاً مما زعم الشراح أنه شبه الليل فيه بموج البحر في ظلمته ووحشته وهوله، وأنّ قوله: "بِأَنْوَاعِ الهُمُوْمِ" متعلق بـ: "أَرْخَى عَلَيَّ" والتشبيه الذي زعموه هنا فاسد فيما أرى [انظروا إلى عبقرية محمود شاكر، لأن من لامس العرب -يا إخواني- في بيانهم وتدسس في طبقات كلامهم، وعرف كيف يبينون، وعرف مقاصدهم، وكيف يشعرون بالمعنى، وكيف يهتدون إلى هذا المعنى العالي فيبحثون عن لفظه لكي يكسوه أمثل ألفاظه، ويعرضوها على الناس في أحسن معارضه، وإنما تأتي هذه الدربة سنة بعد سنة حتى يستقيم للإنسان ذوق يميز به مع المعنى الذي قصده الشاعر ويعرف به زيف كثير من كلام الشراح] والموج في البيت مصدر لا اسم، وأصل سياقة البيت:

وليل يموج بأنواع الهموم ليبتلي موجاً، كموج البحر أرخى عليّ سدوله

فظلمة الليل في قوله: "أَرْخَى عَلَيَّ سُدُوْلَهُ" أما التوحش والهول فهو توحش الهموم الطاغية المتضربة عليه في ظلام الليل. وهذا أحق بامرئ القيس ونبالة معانيه، ومن تأمل عرف ما فيه من الروعة والإيجاز واللمح البعيد القريب للمعاني المختلفة، وههنا أمر مهم، ذلك أنّ الحذف الطويل في شعر امرئ القيس خاصة، وفي شعر غيره كثير[والحذف -يا إخواني- عقد له عبدالقاهر كلاما في غاية النفاسة] فمن ذلك قوله:

إذا قامتا تضوع المسك منهما   نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

ومعناه: تضوع تضوعاً مثل تضوع نسيم الصبا. (انتهى كلامه)

ولو أننا أردنا أن نمثل بإمام العربية الآخر أبي الطيب المتنبي -رحمة الله عليه- :

طَوَى الجَزِيرَةَ حتى جاءَني خَبَرٌ   فَزِعْتُ فيـهِ بآمـالـي إلـى الكَـذِبِ

حتى إذا لم يَدَعْ لي صِدْقُـهُ أمَـلاً   شَرِقْتُ بالدّمعِ حتى كادَ يشرَقُ بي

لو أننا تأملنا هاهنا في عبقرية المتنبي وفي إرادته الإبانة عن الحزن الذي كأنما صار حزنا خاصا وأن هذه الحادثة إنما نالت من فؤاده وحده دون العالمين وأن له حزنا مشبوبا يتوهج بالنار في قلبه، فأبان عن هذا كله في بيتين: "طَوَى الجَزِيرَةَ حتى جاءَني خَبَرٌ" كأنما جعل انبعاث الخبر وصدوره كأنما سار بالآفاق ليقصد المتنبي وحده، فهذا فيه وحده إبانة خاصة قبل عن لاعج الحزن وحرقته والنار التي تستعرفي قلبه ففي تنكيره الخبر إشارة إلى هوله وفضاعته. "فَزِعْتُ فيهِ بآمالي إلى الكَذِبِ" انظروا الى هذه التناقضات إلا أن إنسانا يجعل ما أصابه ويأتي بلفظة الفزع ثم الأمل ثم الكذب ويستخدمها ذلك الاستخدام العظيم العبقري فيقول: "فزعت فيه" والفزع كأن إنسانا يسابق بعضه بعضا، كأنما تتسابق أبعاضه، فيقوم فزعا "فَزِعْتُ فيهِ بآمالي" ولم يقل بأملي وإنما بآمالي كأنما يحشد حشده من صنوف الآمال والأماني التي كأنما يريد بها صد هذا الخبر وحده لكي يكون كذبا ويرجو أن يكون كذبا أن لا تكون تلك الي يحبها قد ماتت، انظروا، أن يكون الكذب غاية الإنسان، كذلك الذي لا يريد تتبع خبر إنسان ويكذب وفاته، كما حدث مع سيدنا الفاروق رضي الله عنه عند وفاة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- فزع بآماله إلى تكذيب أن رسول الله -عليه الصلاة والسلام- مات فقام وقال: "ذهب كما ذهب موسى الى ربه"، هل كان غائبا عن سيدنا عمر –رضي الله عنه- أن الخلق كلهم فانون؟ وأن الله عز وجل قال:﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾لا! لم يخفى عليه، لكن قلبه المحب كأنما يريد أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- سيكون له خصيصة أنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى، فلما سمع قول سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وتلاوته على مسامع قلوب الصحابة قوله تعالى:﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ قال: فعُقِرت، كأنما

جاء رجل بمدية او بسكين أو بسيف فضرب قوائمه كما يضرب الإنسان قوائم البعير إذا أراد نحره، لم يبق فيه قوة فتداعى جسده كله.

"حتى إذا لم يَدَعْ لي صِدْقُهُ أَمَلاً" أدلى ذلك الخبر بحججه وبراهينه القواطع فلم يدع لي شيئا، هو يعلم أنه فزع إلى الكذب ويعلم أن هذا التكذيب شيء ليس حقيقيا ولكنه هكذا أراد أن يصف مشاعره بعبقرية شديدة.

ومن الأبيات التي اتخذت لها موطنا في قلبي منذ سمعتها صغيرا، وقد روى ذلك أبو الفرج في كتابه الغرباء -على غالب ظني- أنه قال: أن أرثى بيت قالته العرب، وقد قيل: أن فتاة جاءت إلى قبر زوجها وكان قد مات شابا ووقفت عند قبره تناجيه فقالت متنفسه بهذا اللهب:

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه   لقاؤك لا يرجى وأنت قريب

تزيد بلى في كل يوم وليلة   وتُنسَى كما تبلى وأنت حبيب

وفعلا هذا من اروع البيان ومن أعظمه حظا في العبقرية "مقيم إلى أن يبعث الله خلقه" انظروا إلى هذا الحذف "مقيم" لم تقل أنت مقيم، لا تستطيع أن تكلمه وإنما تخبر عنه دون مبتدأ، كأنها لا تريد أن تستحضر أنه غاب عنها انظروا إلى هذا الألم "إلى أن يبعث الله خلقه" لم تقل: مقيم حتى أموت وآتي معك وإلى آخره، أبدا. "لقاؤك لا يرجى" حتى لا يكون على سبيل الرجاء "وأنت قريب" هنا حضرت الحقيقة بظلالها القاتمة الصارخة والجملة الاسمية هنا فيها مثل حز السيف في النفس كأنها كهدة الجبل:

"تزيد بلى في كل يوم وليلة   وتُنسَى كما تَبْلى وأنت حبيب"

كلامي ههنا عن الوزن، عن تلك الموسيقى الحزينة في هذا البيت، تقرير للحقيقة التي هي باقية، فهذا من مواطن العبقرية العظيمة التي تحتاج إلى بيان أكثر من ذلك ولكني هنا كما قلت لكم أدلكم على شيء ثم نهرول إلى غيره. ومن مواطن العبقرية وبها أختم وإن كنت أريد أقول كلاما كثيرا لكني لعلي إن شاء الله أختم بشيء حسن، وهو قصة: تأبط شرا، وأنا شديد الشغف بشعر الصعاليك، تأبط شرا و السُّلَيْك بن السُّلكة وعروة بن الورد والشنفرى هؤلاء الذين كان يخرج الشعر منهم متهاديا تهادي القلق في هذا الوجود فيروون عن تأبط شرا قصيدة فيها ما فيها من البلاغة والبيان وعبقرية الإبانة، وكان من خبر هذه القصيدة حتى نفهم أبياتها أن تأبط شرا كان سيغير

على بني لحيان وكانوا قد علموا أنه آتي إليهم حتى يأخذ عسلا من عسلهم وكانوا في أعلى قمة جبل، وليس لهذا الجبل إلا منحدر واحد فربضوا له واختبأوا ورصدوه وهو يريد أن يأخذ العسل، فعندما جاء ليغير عليهم أمسكوا به وأوثقوه فقيدوه، ثم بعد ذلك احتال حيلة عظيمة وهو على قمة الجبل لو أراد أن يلقي بنفسه لمات، ولو أراد طريقا آخر لهلك ولو أراد أن يسلم نفسه إليهم لعانى الذلة وهي أشد عليه من الموت فاحتال حيلة، فماذا قال في هذه الأبيات؟ وهذه القصيدة -يا إخواننا- تحتاج إلى محاضرة قائمة برأسها:

إذا المرءُ لم يحتل وقد جدَّ جِدُّهُ أَضَاعَ وَقَاسَى أمْرَهُ وَهْوَ مُدْبِرُ
ولكن أخو الحزمِ الذي ليسَ نازِلاً بِهِ الخطْبُ إلاَّ وَهْوَ للخطب مُبْصِرُ
فذاكَ قريعُ الدّهرِ ما عاشَ حُوَّلٌ إذْا ضاق عنه مَنْخِرٌ جَاشَ مَنْخِرُ
أَقُولُ لِلْحَيْانِ وَقَدْ صفِرَتْ لَهُمْ وِطَابِي وَيَوْمِي ضَيِّقُ الجُحْرِ مُعْوِرُ
هما خُطَّتا إما إسارٌ ومنَّةٌ وإما دمٌّ والموت بالحرِّ أجدرٌ
وأخرى أصادي النَّفسَ عنها وإنَّها لَمَوْرِدُ حَزْمٍ إنْ فَعَلْتُ وَمَصْدَرُ
فرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَزَلَّ عَنِ الصَّفَا به جؤجؤ عبلٌ ومتنٌ مخصّرُ
فَخَالَطَ سَهْلَ الأرْضِ لَمْ تكْدَح الصَّفَا به كدحةً والموتُ خَزيانُ ينظرُ
وأبتُ إلى فهمٍ وما كدت آيباً وَكَمْ مِثْلِهَا فَارَقْتُهَا وَهْيَ تَصْفِرُ

هذه قصيدة كل بيت فيها فيه عبقرية مستقلة بل عبقريات آخذ بعضها برقاب بعض يقول: [أشرح الابيات شرحا إجماليا] إذا لم يكن المرء ذا حيلة وتدبير فقد ضيع نفسه ورأى أنه قد أهلك نفسه وندم وقاسى أمره وهو مدبر بعد أن حصلت الواقعة "ولكن أخو الحزم" وهو الإنسان الذي يكون حازما مع نفسه يكون مدبرا يكون محتاطا يقظا "الذي ليس نازلا به" الخطب الشديد إلا وهو للخطب عنده بصيرة وحيلة ودربة وكيفية تدبير "فذاك قريع الدهر" هذا الإنسان الذي يقارع دهره ويكون ندا له كما قال المتنبي:

أُطاعِنُ خَيْلاً مِنْ فَوارِسِها الدّهْرُ وَحيداً وما قَوْلي كذا ومَعي الصّبرُ

"فذاكَ قريعُ الدّهرِ ما عاشَ حوَّلٌ   إذْا سُدَّ مِنْــهُ مَنْخِرٌ جَــاشَ مَنْخِــرُ"

إذا سد عليه سبيل من سبل التفكير والحيلة وجد سبيلا آخر بالتدبير والحيلة "أَقُولُ لِلْحْيَانٍ" يعني قبيلة لحيان "وَقَدْ صَفِرَتْ لَهُمْ وِطَابِي" يعني صرت أسيرا عندهم وحل لهم دمي "وَيَوْمِي ضَيِّقُ الجُحْرِ مَعْوِرُ" يا سلام يا سلام! هل هنالك إبانة مثل هذه الإبانة؟ عن الشدة التي لحقت به والضيق الذي أحاط به والهم الذي غشيه "هما خُطَّتا" ليس هناك إلا أمران: "إما إسارٌ ومنَّة" إما أن أكون أسيرا عندكم فتمنون علي "وإما دمَّ والموت بالحرِّ أجدرٌ" "وأخرى أصادي النَّفسَ عنها" يعني شيئا آخر أدبره في نفسي وأراود فيه نفسي "وإنَّها لَمَوْرِدُ حَزْمٍ" تلك الخطة التي أريد فعلها "إنْ فَعَلْتُ وَمَصْدَرُ" هذا سيكون أمرا هو عين الحزم "فرَشْتُ لَهَا صَدْرِي" كأن قد جاء بقلال العسل فصبها على الجبل فكانت له كالستار الذي يحول بينه وبين ان تجرحه الصخور وجعله كميدان التزلج على الجليد، سبحان الله! "فَزَلَّ عَنِ الصَّفَا" تهادى كذا على الصفا "به جؤجؤ عبلٌ ومتنٌ مخصّرُ" صدرعبل رحب ومتن مخصر

"فَخَالَطَ سَهْلَ الأرْضِ لَمْ تكْدَح الصَّفَا   به كدحةً والموتُ خَزيانُ ينظرُ"

أي بيان واي روعة وعبقرية في هذه اللفظة الشريفة "والموتُ خَزيانُ ينظرُ" كأنما احتال على الموت، وهذه إشارة ومبالغة إلى شدة عبقريته وتهديه إلى شيء فات به هؤلاء "وأبتُ إلى فهمٍ وما كدت آيباً" ماكنت سأرجع "وَكَمْ مِثْلِهَا فَارَقْتُهَا وَهْيَ تَصْفِرُ" تقرع أصابع الندم وتنفخ ألما من عدم ظفرها به.

هذه الأمثلة التي كنت أقولها في محاضرة موجزة سريعة وإن كان الأمر شديدا في رحابته لأنه أمر متعلق بالبيان ومتعلق بالأسرار الإلهية المودعة في بيان الإنسان ومتعلقة بجذر الانسان ومتعلق بعلم البلاغة ومتعلق بأسرار النحو، وما كان يقوله عبدالقاهر رحمة الله عليه في أسراره ودلائله، والأمر كثير الشواهد; لأنه مبثوث في بطون الكتب، وله أدلة كثيرة حتى من النثر وكيف أن العبقرية مبثوثة في هذه الامة، وأن قطع الأواصر التي بيننا وبين الاهتداء إلى لغتنا والبيان الشريف; فإن هذا طمس لبصيرتنا، وقتل لإنسانيتنا حتى في تعاملاتنا ، وهذا يحتاج إلى إبانة عظيمة، لكنني أشرت إلى ذلك وتكلم عنه الأئمة، وكما قلت لكم، أنا أريد أن أهديكم إلى مظان هذه الأمور وإن كانت -كما قلت لكم- مبثوثة، لكن من أحكم هذه الاصول وأتقنها إن شاء الله ربما يكون قد اهتدى إلى سمت الطريق، فمن درس أسرار البلاغة ودرس دلائل الإعجاز ففتش وأعاد النظر في الأمثلة في كلام الأئمة وكذلك

في كلام الرافعي في تعليقاته المفردة، لا أقول في كلامه، ولكن في تعليقاته على بعض الأبيات، وفي كلام أبي عبيد البكري في تفضيل بيت شعر على شعر وكذلك القاضي الجرجاني -رحمة الله عليه- في: الوساطة بين المتنبي وخصومه، وكذلك ابن الاثير في: المثل السائر، وأيضا: حماسة الخالديّين وكذلك كلام أبي فهر ايضا وتعليقاته على: طبقات فحول الشعراء، مهم جدا جدا وكلامه في: المتنبي ليتني ما عرفته، مقالات متتابعة مهم جدا أيضا تكلم عن التذوق و وقضية الإبانة والاستبانة، وكذلك رسالة: الضب للعلامة البشير الإبراهيمي، و كلام كثير كـ عبدالقادر البغدادي صاحب الخزانة (خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب) له كلام أيضا يأتي به وشروحات الشعر فيها أشياء نفيسة، لكنها تحتاج إلى نخل وإلى تصفية من الشوائب لأن كثرا منهم كان ينظر للشعر نظرة لغوية لا نظرة بيانية، والشاعر قد يأتي بالكلمة يقصد بها شيئا اخر -كما قلت- في قضية الإهمال وأنه استخدم كلمة الإهمال للدلالة على اطمئنانه إلى حسن تصرف فرسه. ومعذرة على هذا الشعاث الذي تجدونه، لكن أرجو أن تكون هذه المحاضرة مصباحا ولو صغيرا يصحبكم في دروب السير في هذا المجال الرحب العظيم، ولعل الله عز وجل ييسر أن يقيم الإنسان مصنفا في هذا الباب قائما برأسه، يكون آخذا من كلام الأئمة دالا عليه ولكن بشيء يكون دانيا من أهل العصر. وصل الله وسلم وبارك على سيد المرسلين وجزاكم الله خيرا والحمدلله رب العالمين.